الاجتماعي الى تطعيم دراسته بمناهج نقدية أخرى كعلم النفس، وعلم الجمال، والبلاغة أحياناً. غير أن التحليل الاجتماعي يبقى دائماً سمة غالبة في مجموع الدراسات.

3 ـ وفي الوقت الذي ظلت فيه الدراسات النقدية الروائية ذات المنزع التاريخي تستخدم الدراسة الأسلوبية لاحظنا عند الإنتقال إلى الدراسات الروائية ذات المنزع الاجتماعي تخلص النقاد التدريجي من التحليل الأسلوبي إلى أن يختفي ذلك تماماً مع النموذج الذي درسناه في الأخير، وهو كتاب «الرواية والواقع» لمحمد كامل الخطيب.

4 ـ وإن غلبة التحليل الاجتماعي نتج عنها نقص واضح في تحليل بنيات الروايات المدروسة، وأحياناً يتوصل الناقد إلى مضمون الرواية أو رؤيتها بشكل مباشر من خلال اقتطاف فقرة يراها «دالة» على صوت الكاتب أو على المضمون العام في الرواية. وهكذا يبني أحكامه النقدية ويؤسسها على أجزاء منفصلة أحياناً عن النسق العام. مما جعل أغلب الدراسات المحلَّلة سابقاً تجنح إلى سوسيولوجيا المضامين.

5 ـ والنقطة السابقة تحوِّل الدراسة النقدية إلى عقد مقارنة انعكاسية تَشُلُّ فعالية العملية النقدية **لأنه لا يُحْتَفَظُ للأعمال الروائية المدروسة بامتيازها الإبداعي**، بل تصبح مجرد عاكس للواقع، كما أن الواقع في هذه الحالة يتحول إلى مثال يُحْتَذى. ولقد بقيت فكرة الإنعكاس هذه متحكمة حتى عند أولئك الذين تحدثوا عن الإديولوجيا أو عن الرؤية، كوسيط بين الواقع والإبداع الروائي. إن الناقد ـ في الجانب التطبيقي على الأخص ـ ينظر إلى الرواية كمستودع للإديولوجيات، ولأنماط الشخصيات الواقعية نفسها، لذلك يظل مهوَّساً بالبحث عنها بشتى الوسائل، حتى لو كان ذلك بالتضحية بوحدة الرواية والاقتصار في التعامل معها على محتوياتها، مع تجزيء هذه المحتويات نفسها. ولقد تنبه بعض من اهتم بحالة النقد الروائي الاجتماعي، وخصوصاً بالنسبة لهذه النقطة بالذات إلى وجود مثل هذا التوجه العام. ومما قاله بهذا الصدد:

«إننا نعتقد أن الخطاب النقدي الروائي يريد **أن يتمثل الواقع الإديولوجي أساساً، لأسباب سياسية تريد توظيف الرواية لفائدتها.**

. . . فالبحث عن بطل قومي أو عن بطل ماركسي هو الشغل الشاغل لدى بعض النقاد (. . .) إن الخطاب النقدي ما زال في أحيان كثيرة مصراً على اختيار المناهج المتبنية لمفهوم **الانعكاس**، فهو «يولي الأسبقية للدلالة على التحليل الألسني، لافتراضات وجود دلالة اجتماعية اديولوجية في كل انتاج أدبي مهما كانت خصوصيته الشكلية والمضمونية»[146].

---

(146) محمد الباردي: **الخطاب الروائي بين الواقع، والإديولوجيا**. مجلة «فصول» (المصرية) عدد 4. 1985. (الجزء الثاني)، ص 161. عمود 1.